



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

التجّه الخليجي نحو أفريقيا نفوذ وعلاقات اقتصادية

أيمن الفيصل

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط



التجّه الخليجي نحو أفريقيا .. نفوذ وعلاقات اقتصادية

*أيمن الفيصل

يُعد الاستثمار في رؤوس الأموال خارج الحدود أحد أهم السمات التجارية لدول الخليج، إذ تعمل بعض الدول الخليجية (السعودية، والإمارات، وقطر، وسلطنة عُمان) -منذ مدة ليست بالقصيرة- على تعظيم عائداتها في الأسواق الخارجية الناشئة، تارةً عبر ما يخص الاستثمارات في مجالات (الغاز، والطاقة، والاستخراجات، والتنقيب)، وأخرى عبر الشركات العقارية وشركات النقل البحري والمؤسسات الصناعية، وغيرها من الاستثمارات التي تعود بالنفع على اقتصاديات هذه البلدان، وتعمل البلدان الخليجية في بعض الأحيان على إدارة المشاريع خارج حدودها بتوقيع عقود استثمارية مع تلك البلدان عبر إدارة المشروع وتشغيله، وتطوير البنية التحتية له، وتدريب ملوكاته مقابل نسب أرباح متفق عليها ضمن تلك العقود أو الاتفاقيات الاقتصادية بينهما، ويعود هذا تعزيزاً لدول الخليج لنفوذها الاقتصادي والأمني والدبلوماسي المتزايد في أفريقيا.

وبعد الاستقرار الذي شهدته منطقة الخليج العربي من الناحية السياسية في السنوات العشر الأخيرة، أخذت بعض الدول الخليجية تتجه نحو القارة السمراء لإقامة مشاريع اقتصادية أو إدارتها بحيث تسعى من طريقها إلى رسم سياسة خارجية اقتصادية جديدة لها من جهة، ورسم سياسة خارجية ودبلوماسية اقتصادية من جهة أخرى، فضلاً عن العمل بنحو مشترك مع الدول المستفيدة من ذلك الاستثمار لخلق بيئة تؤمن العديد من فرص العمل وخلق سوق اقتصادية بعيدة عن النفط لتعظيم الإيرادات، وتنوع البيئة الاقتصادية واستثمار فائض أرباحها في مشاريع تنمية وحيوية، فضلاً عن استثمار النفوذ الخليجي وتعزيزه بأفريقيا.

* باحث في مركز البيان للدراسات والخطب

لماذا أفريقيا؟

حين الحديث عن أي مشروع استثماري فلا بد أن تتوافر فيه بيئة اقتصادية مناسبة، وأهم ما في هذه البيئة هو الاستقرار السياسي والأمني، وإن المتبع للشأن الأفريقي يجد أن معظم بلدان هذه القارة لا تتسم بالاستقرار، لكن ما يدفع الدول الخليجية التوجه نحوها هو النفوذ الجيوسياسي في تلك القارة، الذي يمكنها من السيطرة على السوق الناشئة، والدخول في اتفاقيات اقتصادية مع دول أخرى لديها مصالح مشتركة في القارة نفسها؛ مثال ذلك: التوأمة الاقتصادية بين معظم دول مجلس التعاون الخليجي والصين، «ويعد التأزر الذي أوجده الحكم الاقتصادي الصيني وتوجه دول الخليج المتزايد نحو الشرق قوة قوية ستؤثر على أنماط الاستثمار في الأسواق الناشئة، وكذلك ممارسات تمويل التنمية وإعادة الإعمار بعد انتهاء الصراع والأفكار بشأن الإدارة المناسبة للأسواق في الشرق الأوسط»⁽¹⁾، وكذلك يتضمن التفكير للتوجه نحو هذه القارة لأنّه أصبح المكان المناسب من حيث الموقع الجغرافي لبعض البلدان فيها والأيدي العاملة من جهة، وزيادة العلاقات، وتوسيع النفوذ الإقليمي للدول الخليجية في الشرق الأوسط، واستثمار مواردّها السياسية والاقتصادية بمحاذة الصين في حال انسحاب الولايات المتحدة منه من جهة أخرى.

وتسعى الدول الخليجية إلى خلق رؤى وتفاهمات اقتصادية وسياسية جديدة في تلك القارة من طريق التدفقات المالية التي تسعى عبرها إلى توحيد المؤسسات الاقتصادية في الشرق الأوسط وحكومتها إلى خلق تفاهمات مشتركة بينها وبين الصين في هذه القارة والمنافسة على الأسواق هناك بقناعاتها في النمو الاقتصادي المتضاد، وتوجيه موارد الدولة لتحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية المنشودة، ومن المرجح أن يخلق حجم رأس المال الخليجي-الصيني في توجيه المؤسسات المالية التي تسيطر عليها

1. Karen Young, Master Developers: The New Sino-Arab Gulf Visions of Economic Development,<https://www.lawfareblog.com/master-developers-new-sino-arab-gulf-visions-economic-development>

الدولة أنمطاً جديدة من المساومة والعلاقات السياسية في المجالات المشتركة ذات الاهتمام الاستراتيجي في المستقبل القريب.

وأخذت دول الخليج في الآونة الأخيرة العمل على إظهار مكانتها على الساحة الإقليمية والدولية بالعمل كوسطاء في التزاعات الأفريقية، وللاستفادة من الفرص الاقتصادية وحماية مصالحها الأمنية، وفضلاً عن ذلك فإن هذا الدور المتصاعد نحو أفريقيا من قبل الخليج قد يؤدي إلى تنافس خطير للسيطرة على المشاريع الاقتصادية هناك من طريق خلق فرص جذب للمستثمرين في جميع أنحاء العالم، لكن هناك ثلاثة عوامل رئيسة دفعت دول مجلس التعاون الخليجي اللجوء إلى أفريقيا، أولها أنه «ساعد ذلك في بناء الروابط الاقتصادية في أفريقيا لدول الخليج على الاستفادة من موقعها الجغرافي الاستراتيجي، وثانيها هو زيادة أنها العذائي، وثالثها هو تعزيز سمعتها كجهات فاعلة مسلمة محبيّة»⁽²⁾.

الوجود الخليجي المتعدد

سعت الدول الخليجية إلى تعزيز تواجدها في أفريقيا عبر تطوير استراتيجياتها الخاصة بالتنوع الاقتصادي، وتقليل الاعتماد على النفط بالاستثمار في الأسواق الأفريقية، التي أصبحت أكثر أهمية حينما انخفضت أسعار النفط في عام 2014، إذ «استثمرت الإمارات ما يقدر بـ 11 مليار دولار في رأس المال في أفريقيا في عام 2016 وتسعى إلى تطوير صناعات الطاقة لديها، وقد أعلنت المملكة العربية السعودية مؤخراً عن استثمار بقيمة 10 مليارات دولار في جنوب أفريقيا في قطاع الطاقة، وفي الوقت نفسه وقعت قطر أيضاً صفقة بقيمة 4 مليارات دولار لإدارة ميناء على البحر الأحمر مع السودان في شباط 2018»⁽³⁾.

2 - Will Todman, The Gulf Scramble for Africa: GCC states' Foreign Policy laboratory, CSIS, November 20, 2018: <https://www.csis.org/analysis/gulf-scramble-africa-gcc-states-foreign-policy-laboratory>

3- South Africa says Saudi Arabia to invest \$10 billion in the Country, Focus on Energy, Reuters, July 12, 2018:<https://www.reuters.com/article/us-safrica-saudi-energy/saudi-arabia-to-invest-at-least-10-billion-in-southafrica-focus-on-energy-south-africa-presidency-idUSKBN1K22JR>

ويبيّن الموقـع الجغرافي الاستراتيجي للخليج أيضـاً سبـباً لجعل أفريقيا محور نشاطـه الاقتصادي من طـريق التركيز على تطـوير البنية التحتـية والتجـارة في هذه القـارة، «وقد استفادـت الإـمارات من البنـية التـحتـية المـتميـزة للـنقل الـبحـري والمـوانـى لتـوصـيل هـذه الإمـكـانـات لـتصـبـح أكبر مـتـداول خـليـجي مع إـفـريـقيـا، إذ استـوردـت الإـمـارات ما يـقـرـب من 5 مـلـيـارـات دـولـار من البـضـائـعـ من إـفـريـقيـا في كـلـ عامـ من 2010 إلى 2015، قبل زـيـادـة واردـاتـها بـنـحوـ كـبـيرـ إلى 23.9 مـلـيـار دـولـار في عامـ 2016»⁽⁴⁾.

وـعملـتـ المـملـكةـ العـربـيـةـ السـعـودـيـةـ عـلـىـ تـحـقـيقـ أـمـنـهـاـ الغـدـائـيـ فيـ تـلـكـ القـارـةـ؛ـ ماـ جـعـلـهـاـ أـكـبـرـ مـسـتـثـمـرـ لـلـأـرـاضـيـ الزـرـاعـيـهـ هـنـاكـ،ـ إـذـ بـدـأـتـ اـسـتـرـاتـيـجـيـهـ جـديـدـةـ لـلـأـمـنـ الغـدـائـيـ هـنـاكـ وـنـظـرـاـ لـلـتـربـةـ الغـنـيـةـ الـتـيـ تـتـمـتـعـ بـهاـ بـعـضـ دـولـ إـفـريـقيـاـ،ـ وـلـأـرـاضـيـ الصـالـحةـ لـلـزـرـاعـةـ،ـ وـنـقـصـ المـيـاهـ دـاخـلـ الـأـرـاضـيـ السـعـودـيـةـ «ـجـعـلـهـاـ تـفـكـرـ فـيـ التـغلـبـ عـلـىـ الـمشـكـلـةـ الزـرـاعـيـةـ باـسـتـثـمـارـاتـ هـنـاكـ إـذـ اـشـتـرـتـ 500ـ أـلـفـ هـكـتـارـ مـنـ الـأـرـاضـيـ فيـ تـنـزـانـياـ فيـ عـامـ 2009»⁽⁵⁾،ـ لـجـعـلـهـاـ بـمـنـزلـةـ السـلـةـ الغـدـائـيـةـ لـلـمـمـلـكـةـ.

ولـمـ تـكـنـ قـطـرـ الدـوـلـةـ الـخـلـيـجـيـةـ الـأـخـرـىـ هيـ بـعـيدـ عـماـ يـجـريـ فيـ إـفـريـقيـاـ،ـ فـقـطـ هـيـ أـكـثـرـ دـولـ الـخـلـيـجـ اـعـتـمـادـاـ عـلـىـ الـغـذـاءـ المـسـتـورـدـ مـنـ الدـوـلـ الـخـلـيـجـيـةـ الـجـاـوـرـةـ لهاـ،ـ وـمـاـ أـنـ حـدـثـتـ الـأـزـمـةـ الـخـلـيـجـيـةـ فيـ عـامـ 2017ـ بـيـنـ دـولـ مـجـلـسـ التـعاـونـ وـقـطـرـ فـقـدـ فـرـضـ الـوـاقـعـ السـيـاسـيـ الـجـدـيدـ «ـإـلـحـاحـاـ جـديـدـاـ عـلـىـ الـحـكـومـةـ الـقـطـرـيـةـ لـتـعـيـضـ ذـلـكـ،ـ فـأـعـلـنتـ الـحـكـومـةـ الـقـطـرـيـةـ فيـ عـامـ 2018ـ عـنـ خـطـطـ لـاـسـتـثـمـارـ نـصـفـ مـلـيـارـ دـولـارـ فيـ الـقـطـاعـيـنـ الزـرـاعـيـ وـالـغـدـائـيـ بـالـسـوـدـانـ»⁽⁶⁾،ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ

4- Will Todman, The Gulf Scramble for Africa: GCC states' Foreign Policy laboratory, CSIS, November 20, 2018:

<https://www.csis.org/analysis/gulf-scramble-africa-gcc-states-foreign-policy-laboratory>

5- Wim Plaizier, Two truths about Africa's agriculture, World Economic Forum, January 22, 2016:

<https://www.weforum.org/agenda/2016/01/how-africa-can-feed-the-world/>

6- Qatar invests half billion dollars in Sudan agriculture, food sectors, Al Araby, June 20, 2018: <https://www.alaraby.co.uk/english/news/2018/6/30/qatar-invests-half-billion-dollars-in-sudan-agriculture->

فإن بعض الدول الأفريقية تلجأ إلى إيجار أراضيها لغرض الزراعة وأخذ نسبة من المحصول لسد احتياجات السكان المحليين.



التنافس على موقع الموانئ الأفريقية

ولم تبتعد سلطنة عُمان كذلك عن التوجه نحو القرن الأفريقي، فقد تم توقيع مذكرة تفاهم بين «الصندوق الاحتياطي العماني العام (SGRF) وهيئة الموانئ والمناطق الحرة في جيبوتي؛ لغرض استكشاف نوافذ الاستثمار في جيبوتي إلى جانب إنشاء شراكة استراتيجية بين المؤسستين»⁽⁷⁾، وأشار الرئيس التنفيذي للصندوق الاحتياطي العام للسلطنة (عبد السلام بن محمد المرشدي) إلى أن الاتفاق سيتيح للجانبين التعاون في تطوير الموانئ، واستثمارها، وتشغيلها، وإدارتها، فضلاً عن إلى المنشآت اللوجستية الرئيسية الأخرى، وتم الاتفاق على تطوير ميناء (دوراليه) أحد أهم الموانئ الجيبوتية على البحر الأحمر، وهذا ما زاد من حدة المنافسة بين الدول الخليجية على هذه المنطقة بالتحديد لضمان النفوذ الجيوسياسي، ورسم استراتيجية كاملة للاستثمار في هذه البقعة الواقعة على البحر الأحمر على باب المندب التي تلتقي بالخليط الهندي جنوباً، وجاءت الإمارات على رأس الدول

7 - عُمان تدخل حرب الموانئ .. هل تملأ الفراغ الإمارati في القرن الأفريقي؟

<https://www.noonpost.com/content/27133>

الخليجية التي أخذت بالاستثمار منذ أكثر من 10 سنوات في (محطة دوراليه) للحاويات حتى تحولت المنطقة التي تسيطر عليها إلى ثكنة عسكرية تستخدمها للحرب في اليمن ضمن التحالف السعودي، لكن دخول سلطنة عُمان على خط الاستثمار دعا جيبيتي إلى فسخ عقد الاستثمار مع الإمارات عبر «تجريد شركة موانئ دبي من امتيازاتها استناداً إلى قانون أقره البرلمان في شباط 2017 ومنح الحكومة إنهاء العقد بسبب تعارضه مع المصالح الأساسية للدولة»⁽⁸⁾.

المحصلة

أدت الحرب على اليمن إلى زيادة المصالح الأمنية للمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة في شرق أفريقيا؛ لذا أصبحتا من أكثر الدول الخليجية استثماراً في هذه القارة، وغالباً ما تقدم دول الخليج حواجز اقتصادية في المقابل للحصول على المكاسب وتحقيق أهدافها، وسعت دول الخليج إلى استخدام أدوات النفوذ لديها -الاقتصادية والسياسية- لإقناع الدول الأفريقية بتحفيض روابطها، أو تعاملاتها مع إيران، ونجحت بذلك لغرض احتواء الوجود الإيراني في تلك المنطقة، ولكن الأزمة الخليجية الأخيرة عام 2017 بين دول مجلس التعاون أفصحت عن محدودية النفوذ في هذه القارة، فلم تستطع أخذ ولاء معظم الدول الأفريقية لصالحها؛ وبالتالي فإن هذا خلق تأثير متزعزع في هذه القارة، فضلاً عن عدم توحيد الموقف الخليجي تجاهها.

إن التوجه نحو هذه القارة في السنوات الأخيرة جاء نتيجة ضغوط خليجية (سعودية- إماراتية) داخل مجلس التعاون الخليجي للدخول في السوق الناشئة في هذه القارة أولاً، والحد من النفوذ الإيراني في المنطقة ثانياً، على الرغم من العروض الاستثمارية والدعم الاقتصادي الكبير من قبل السعودية المقدم لبعض بلدان القارة، وكذلك تحجيم الاستثمارات القطرية في مجال الزراعة والصناعة وتشغيل الموانئ ومحاربة الإرهاب ثالثاً.

8- حرب الموانئ .. كيف حولت الإمارات القرن الأفريقي من الاقتصاد إلى العسكرية؟
<https://www.noonpost.com/content/27024>

ولعلّ هذا التنافس لدول الخليج في هذه القارة يحمل في طياته مخاطر تجاه الدول الأفريقية الضعيفة، وتحتها على اختيار محور من المحاور الخليجية والوقوف معه في النزاع القائم بين دول مجلس التعاون الخليجي، فالسعودية والإمارات يمتلكان أدوات اقتصادية كافية لدعم الحركات الانفصالية في هذه القارة والعمل على تأجيج الوضع لصالحها.

وسيستمر التوجه نحو القارة السمراء طالما أن المصالح المشتركة لدول الخليج وحلفائها مثل الصين قائمة وبنحوٍ متزايد، وسيكون شكلُ هذا التوجه اقتصادياً وأمنياً من أجل العمل على إيجاد فرص التعاون وفضّل النزاعات بين أطراف النزاع في أفريقيا، التي بدورها ستخلق فرصاً متعددة للدول الخليجية للتدخل كجهات فاعلة، ومؤثرة في المشهد، وتقديم حواجز اقتصادية كبيرة من أجل ضمان تعزيز نفوذها في هذه القارة.